زهرة أقحوان

للأستاذ إيليا أبى ماضى

...

كان فى صدرىَ سر　　كامن كالأفعوان
أتوقاه وأخشى　　أن يراه من يرانى
وإذا لاح أمامى　　عقل الذعر لسانى
لم أخَفْــه غير أنى　　خِفت أبناء الزمان
ولكم فان نظيرى　　خاف قبلى بطش فانى
لم يَسَــع سرى فؤادى　　لم تسـع نفسى المعانى
فقصدت الغاب وحدى　　والدجى ملقى الجِران
ودفنت السر فيــه　　مثلما يدفن جان
ورأى الليـل قتيلى　　فبـــكاه وبكانى
إن لليـــل دموعاً　　لا تراها مقلتـــان
كنت حتى مع ضميرى　　أمس فى حرب عوان
فانقضى عـهد التجافى　　وأتى عهـــد التدانى
خدرت روحى فأمسى　　شأن جل الخلق شأنى
لا أرى فى الخمر معنى　　ولكمَ فيها معــــانى
فكأنى آلة العــا　　صر أو إحدى الأوانى
لم يعــد قلبى كالبر　　ق شـــديد الخفقان
لم تعـــد نفسى كالنج　　مة ذات اللمعان
بت لا أبكى لمظلو　　م ولا حُرٍّ مهان
لا ولا أحفـــل بالبا　　كى ولو ذا صولجان
صرت كالصخر سواء　　هادم عندى وبان
يا لآمالى الغوالى　　يا لأحلامى الحسان !
طوت الغـابة سرى　　فانطوت معه الأمانى
ضاع لما ضاع شىء　　من كيانى بل كيانى
فى صـباح مسـتطير　　كصباح المهرجان
لبست فيـه الروابى　　حلة من أرجوان
وتبدى الغاب من أو　　راقه فى طيلســـان
ساقنى روح خـفى　　نحو ذياك المكان
فاذا بالسـر أضحى　　زهرة من أقحوان

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٤ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

للأســـــتاذ خليل هنداوى

الذات تخرج من نفسها وتعود الى نفسها ، ولكنها تعود أكثر قوة وغنى ، وكل معارضة تلقاها فى الخارج لا تزيدها إلا قوة ومضاء . وفى كل جزء من أجزائها تحس أن قوة حيوية جديدة تولدت فيها ، ونهاية أربها أن تعلن فوز سلطان العقل على المادة والطبيعة ، أو كما يقول « فيخت » (اتحاد الذات مع غير الذات) وهذا الاتحاد أو هذا الامتزاج المطلق يجعله فيخت مثله الأعلى ، ويراه الفيلسوف « هيجل » حقيقة من حقائق الوجود

الذات السامية متمثلة فى الله ، والذات الالهَية هى الكمال الأعلى . والذات الانسانية تمثل – مجازياً – ما يمثله الله – حقيقياً – ولكنها يحدها الزمن وينتظرها الزوال . أما فاعليتها فباقيــة خالدة لتحقق مثلها الأعلى ولتدنو فى الشبه طوراً بعد طور — من الالــه . والالــه لا حق لنا فى تمثيله ولا إثبات وجوده بما هو خارج عن كنهه ، لأن تمثيله معناه تحديده وإبرازه على صورتنا الزائلة ، وجعله وثناً له شأن الأوثان . وإثبات وجوده معناه أن نستعين بيقين مستمد من غيره فى سبيل اثباته ، مع أنه هو مصدر كل يقين وهو الفاعل المطلق

موقفه من الدين

لم يؤثر شىء من النقد فى نفس فيخت كما أثرت فيه تلك الوشاية التى أراد خصومه من ورائها أن يتهموه بالألحاد ، وما زال الألحاد سيفاً يشهره العاجزون يهولون به على الأقوياء . قابل « فيخت » هذه التهمة بابتسامة كئيبة ، لأنه يعتقد أنه مضمر للدين عاطفة طيبة تشف عنها كتاباته ومقالاته ، وإزاء هذه الوشاية أرسل إلى قومه نداء يدفع به عن نفسه هـذه التهمة الشنيعة ، وهو نداء يطفح حرارة والتهاباً وإيماناً . قال فيــه : « إن الرجل المتدين هو الذى يشترك فى تمثيل سلطة الله على الأرض ، قائمة نفسه حق القيام بما يجب عليها من قواعد الأخلاق . يستحيل علىّ أن أتخذ لى هدفاً وغاية هذه الحياة التى يتبرم الناس

بهمومها وأفراحها . . . وإنما يجب على أن يكون لى غرض مباين لهذه الأغراض . . . إن الأشياء تقاسمنا ـ بحسب أهوائنا ـ أمانينا وميولنا ، فهى تئن إذا أرغمها هى الزهو مرغم ، وهى ترجو الانعتاق إذا أمسك الحرية عليها ممسك ، وهذا الأمل المتوقد فى ما هو أسمى وأرفع وفى ما هو أبقى وأخلد ، وهذه السآمة من الأشياء الزائلة الفانية ، كل هذه هى عواطف لا صفة بقلب الانسان ! ووراء ذلك صوت لا يمكن لبشر أن يخنقه إذا علا وارتفع فى صدر الانسان ، يوحى عليه أن هنالك واجباً فرض عليه أن يقوم به لأنه هو الواجب ، والانسان الذى لا مفر له إلا إلى نفسه يسمع ذلك الصوت ويردد معه (ليمنعنى ما يمنع ! فانى لقائم بواجبى حتى لا يكون هنالك لائم) وهذا الحل الذى وجده هو الذى يجعله محتملاً لهبة الحياة إذا استلمها ، ولانتزاعها منه إذا فقدها ، يقول بنفسه . . . أريد أن أنجز أيامى لأن الواجب يدعونى إلى ذلك . . . أريد أن أتمم ما تطلب الحياة منى وما تفرضه على ... إن الحياة مقدسة عندى ! وما قدسها إلا حب الواجب .)

ويرى فيخت وجوب توحيد الأخلاق والدين لأن غايتهما واحدة ووجهتهما واحدة . فالدين بغير أخلاق ماهو إلا مظهر خارجى يغذى العقل بالأوهام والأساطير دون أن يرقى به الى ناحية من نواحى الكمال . والأخلاق بغير الدين تتركنا مجتنب الشقاء خشية عاقبته ، دون أن نغرس فى نفوسنا حب الخير لنفسه . ألا ليكن دستورك الشريف فى حياتك أن تريد مايجب ، وأن تطهر إرادتك من أدران هذا العالم ، وتنقذ وجودك منها ليتسنى لك العروج الى عالم هو أسمى من عالمنا الحاضر ، وأن تصرف نفسك عن هذه الحياة الى الحياة الهادئة السعيدة

ويقول أيضاً : « إن مزية الرجل المتدين الحقيق فى مذهبى هى أن تكون له رغبة واحدة تحدوه ، وفكرة واحدة تسوقه ، صلاته هذه الآية : « ليأت ملكوتك » وفى غير ذلك لايتسع صدره لشىء ، ولاتسمى قدماه إلا فى سبيل واحد يدنيه من غايته ولا يطيع فى كل مايأتيه من عمل إلا صوت ضميره

على أن روح فيخت الدينية بدأت تبدو كثيراً فى كتاباته الأخيرة التى أراد بها توضيح مذهبه . ففى كتابه « الموجز » نرى نزعته الفكرية التى تؤمن بأن الله قد أناب منابه (الذات المطلقة) على الأرض ، وأن نهاية هذه (الفاعلية) الانسانية تفنى فى وحدة تمزجها مع الألوهية . وفى كتابه (غاية الانسان) يعلن فيخت بأن حقيقة العالم الخارجى بعيدة عن الوضوح والبيان ، ولكن فى الامكان تعليلها بطريقة من طرق الايمان ، أليس هو شعورنا الذى يحفزنا الى معرفة (حقائق الأشياء الخارجة عنا) وهى كائنات لها وظيفتها فى الوجود كما لنا وظيفتنا ، وأرانا مضطرين الى اسعافها فى اكمال وظيفتها

وفى كتابه « معرفة الحياة السعيدة » يبحث مسألة الاتحاد مع واجب الوجود ، وقد يكون فى استطاعتنا القول أن هذا الاتحاد قد يكون اتحاداً صوفياً (يمثل فناء المحب فى المحبوب) لو لم ينبهنا فيخت الى أن هذا الاتحاد ليس باتحاد فارغ — كما نتمثله — وإنما هو اتحاد ملائم لجبلة الله . وإنما الرجل المتدين عنده هو الذى يؤمن ويضع رجاءه ـ لا فى الله ـ لأنه يحمل الله فى قلبه ، ولكن فى الانسانية التى يجاهد فى سبيل إسعادها واكمالها

« قيمته الفلسفية »

أجمع النقاد على أن فلسفة فيخت ليس لهـا ذلك الالتئام والاتحاد اللذان تمتاز بهما فلسفة (كانت) ، وإنما هى قوة منبعثة يجمل بواعثها فيخت نفسه . قد لا تتفق وجوهها إلا بجملة امتيازات خاصة لو تأملها متأمل عن كثب لرأى ركاكتها ولمس ضعفها ، فالذات فى نظره هى الفاعل المطلق ، ولكن كيف يسند إليها هذا الأطلاق وهى ليست بالمطلقة ، وكيف تكون مطلقة وحولها ذوات كثيرة مثلها ، كل ذات منها مطلقة فى نفسها ؟

إن قيمة فلسفة فيخت لا تتمثل حقيقة فيما اكتشفت وابتدعت ـ فى عوالم النفس ـ فهى لم تكتشف شيئاً ، ولم تكشف عن شىء فى المسائل العلمية ، ولكن هذه الفلسفة ستبقى مطبوعة بصفة لا تبلى ، هى سر كل بقائها وعظمتها

قد يأتى يوم يفقد فيه (كانت) كل مناصر ، ولكنه لن يفقد بعض آراء مثمرة جديدة لها خطرها فيما أبدعت ، « وفيخت » لن يفقد بعض صفحاته النقية وبعض آرائه السامية . وهب أنه فقدها ، فهو لن يفقد ذلك المثل الأعلى الذى هام فى طلبه طيلة حياته ، وكان أبلغ وأسمى ما تجلى به مذهبه أن الأنسان الأخلاق ـ فى فيخت ـ يغلب على الأنسان الفيلسوف ! والأنسان الأخلاق ـ فى فيخت ـ يغلب عليه ويسمو عليه الأنسان وحده ...

(يتلى)

خليل هنداوى